المركز الإسلامي للدراسات

قانا الجليل

المعجزة - الخطيئة

حاتم إسماعيل

قانا الجليل

المعجزة - الخطيئة

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ ــ ١٩٩٦م

المركز الاسلامي للدراسات ـ بئر العبد ـ سنتر الانماء رقم (٢) الطابق الثاني ص.ب ٥٢ / ٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــــــة:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين لا سيما نبيه الكريم عيسى بن مريم (ع) الذي أثيرت حوله كثير من الاشكالات والشبهات، إلى حدٍّ يكاد لا يكون له نظير في التاريخ البشري فمن مكذب ومتهم إلى مؤلِّه إلى غير ذلك.

وبعد... فإن السرد التاريخي للحدث ـ أي حدث كان ـ يتأثر عادة بالظروف الاجتماعية والنفسية للراوي. وهذه الظروف بقسميها تؤثر بشكل أساسي على مدى واقعية الحدث، وحدود هذه الواقعية، ومدى ارتباطها

بعنصر الخيال أو الخرافة، أو المصلحة التي يبتغيها ناقل الحدث.

ولـذلـك نـرى فـي كثيـر مـن الحـالات ان الأحـداث التاريخية قد نقلت بأشكال وصيغ متفاوتة، ربما أدت إلى اختـلاف المعنـى بيـن راوٍ وآخـر، سـواء بمـلاحظـة الخصوصيات التي ينقلها كل راوٍ، أو بملاحظة الجهة التي كانت وراء نقله للحدث، أو بملاحظة الحالة والوضع النفسي الذي أحاط به حين مشاهدته للحدث أو نقله له.

ولعل هذه الأمور وغيرها هي ما يبرر النقل غير الدقيق للأحداث تارةً، وبين الصحيح ـ والصحة نسبية أيضاً ـ تارة أخرى، واختلاق أصل الحدث ثالثة وربما اخفاء بعض الحقائق والأحداث رابعة، كل ذلك في سبيل غاية وهدف يسعى المؤرخ إلى تحقيقه.

كما أن متلقي الرواية يتأثر بها تصديقاً وتكذيباً على قدر مـا تنسجـم مـع العنـاصـر العـاطفيـة والتـربـويـة وكـذلـك الاجتماعية والنفسية التي تحيط به، مضافاً إلى مدى ما

يتمتّع به الناقل من موقع ومصداقية لدى المتلقى، وأيضاً قدرته على التعبير وتصوير الحدث مع خصوصياته التي يريدها، كل ذلك يؤثر وبشكل مباشر في متلقى الرواية.

ومن هذه الروايات ما سمي معجزة قانا الجليل، التي وردت في انجيل يوحنا على انها معجزة للسيد المسيح (ع)، وانه قد حوّل الماء إلى خمر، والتي قد أثير حولها جدل كبير في أوساط المسيحيين عامة واللبنانيين ـ مؤخراً ـ منهم بشكل خاص.

ولما كانت هذه المعجزة منسوبة للسيد المسيح (ع)، وهو نبي من أولي العزم عند المسلمين كان البحث عن صحتها وعدمها مهماً وخطيراً في نظر المسلمين والمسيحيين على حد سواء، إذ هي ترتبط باعتقادهم من حيث المبدأ في أنبياء الله تعالى وصنع المعجزة وموضوعها من حيث الإمكان والحرمة والحلية، بمعنى انه هل يمكن للسيد المسيح (ع) أن يحول الماء إلى الخمر المحرم على فرض حرمته ـ وهو كذلك ـ أم ان المعجزة لا بد أن تكون

في ما يرضي الله تعالى، وتقع على ما هو محلل منه.

فالبحث في هذه الرواية وفي غيرها من الروايات، لا بد وأن يلاحظ مختلف المصادر التي تعرضت لنقل الحدث، وملاحظة الخصوصيات والهنات التي ذكرها أو ابتلي بها الرواة، ليمكن للباحث الموضوعي أن يصل إلى النتيجة الواقعية أو التي هي أقرب ما تكون إلى الواقع.

ولكن البحث في هذه الرواية بالخصوص منحصر في الكتاب المقدّس بعهديه، إذ انها من الناحية التاريخية والتشريعية لا يمكن اثباتها ونفيها إلا من خلال العهدين، لذلك قمنا بهذه الدراسة المتواضعة فيهما، سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يعصمنا من الخطأ والزلل انه سميع مجيب.

حاتم

تمهيـــــد:

إن الضجة التي أُثيرت في الفترة الأخيرة حول قضية مـا سمِّـي بمعجـزة السيـد المسيـح (ع) فـي أوسـاط المسيحييـن، وربمـا سكـت عنهـا أو تقبلهـا بعـض المسلمين، هذه الضجة لا مبرر لها علمياً لأنها ترتبط بقضية خرافية أو اسطورية لا ترتبط بالواقع مطلقاً، فقد ادعوا فيها أن عيسى عليه السلام قد حوّل الماء إلى خمر في أحد الأعراس في قانا الجليل ـ- وزعموا انها هي قانا لبنان ـ بعدما نفدت الخمر من الناس، فكانت هذه أول معجزة قام بها على حد زعمهم.

وهي رواية لا يمكن الاعتماد عليها أو القبول بها، بل اننا نعتقد ان هذه الخرافة ربما كانت من صنع بعض اليهـود أو أشبـاههـم ممـن كـانـوا يكيـدون للسيـد

المسيح (ع)، ولا يريدون له أن يكون نبياً أو حتى عاقلاً، أيضاً بل يراد من خلال ذلك إثبات كذبه ومعصيته لله تعالى والعياذ بالله.

والذي يدعونا إلى الاعتقاد بهذا الأمر عدة أمور، منها ان الخمر كانت ولا تزال موضع تحريم أو شبهة تحريم على الأقل. في جميع الأديان السماوية، بل حتى في الأنظمة الوضعية التي تحكم العالم اليوم نرى هذا الأمر ظاهراً أيضاً حتى لقد وضعت بعض العقوبات الجزائية على من يشرب الخمر في أماكن وحالات معينة.

ولقد أكّد الإسلام على هذه الحقيقة من خلال القرآن الكريم والسنَّة الشريفة، فقد قال تعالى: **﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾**[1].

وقال تعالى: **﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدَّكم عن ذكر**

---

(١) سورة المائدة الآية ٩٠.

الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾[1].

فهاتان الآيتان المباركتان تقرران حقيقة موضوعية حاسمة وهي ان الخمر واخواتها بحسب ذاتها وطبيعتها من أحابيل الشيطان وشؤونه وجنوده، وليست من الأمور التي يمكن أن يتغير حكمها من شريعة إلى أخرى إذ ليس النهي عنها وتحريمها ناشئاً من عنوان عارض عليها قابل للزوال.

وهذا المعنى الشامل هو ما يمكن أن نفهمه من خلال تأكيد الرسول (ص) وأهل بيته (ع) على أن الخمر ما حلت في دين قط[2].

والكتاب المقدّس بعهديه، ورغم اعتقادنا بانه لم يكن وحي الله تعالى إلى أنبيائه بل كتبه رجال مجهولون تاريخاً وشخصيةً ونسبوه إلى الوحي الإلهي، وهذا ما لا يخالف

---

(١) سورة المائدة الآية ٩١.

(٢) كما في البحار ج٧٩ ص١٣٤ ـ ١٣٥ و١٤٩ والميزان في تفسير القرآن ج٦ ص١٣٦ عن الكافي والتهذيب وتفسير الصافي ج١ ص٢٤٨.

فيه اليهود والنصارى، وخلافنا معهم إنما هو في ان هذه الكتب قد زوِّرت وحُرِّفت ونُسِبت إلى الله تعالى محرَّفة زوراً وبهتاناً وعدم ذلك.

هذا الكتاب الذي ينسب إلى أنبياء الله تعالى الكذب والزنى والسكر، وكمثال على ذلك نذكر قضية لوط (ع) حيث ذكر ان ابنتيه أسكرتاه وضاجعتاه وحملتا منه، وكذلك داود ونوح وغيرهما من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذا الكتاب نفسه يؤكِّد على حرمة الخمر وانها من عمل الشيطان، وان شاربها ضال وآثم، بل على مساواته بعابد الوثن كما سنرى، وهو ما دلّت عليه الآية الشريفة المتقدمة وكثير من الأحاديث الشريفة أيضاً.

وأما خرافة العرس فلقد انفرد بها يوحنا صاحب الانجيل الرابع وهو الكتاب الأخير تاريخياً، ولم يذكرها أو يشر اليها أحد غيره.

وإذا رجعنا إلى ملاحظة النص الذي ذكره، وأعملنا

شيئاً من التأمل فيه فاننا نجد أنه مما لا يمكن القبول به ولا احتمال صدقه، حتى لو سكتنا وغضضنا النظر عن حرمة شرب الخمر وضلال شاربها وصانعها. مع انه من غير المنطقي أن يتعرّض لذكره وحده دون الآخرين حتى كأنها لم تكن بالنسبة اليهم، خصوصاً وانهم قد جروا على ذكر أعمال السيد المسيح (ع) ومعاجزه، بخلاف يوحنا الذي كان يفلسف الأحداث على طريقته وينتقي منها ما يوصله إلى دعواه التي ذكرها بقوله: لتؤمنوا ان يسوع هو المسيح ابن الله[1].

وهذه القصة ـ على فرض صحتها ـ هي باكورة أعماله (ع)، والتي بدأ حياته الرسالية من خلالها، هذه الحياة التي ستغيِّر مجرى التاريخ بحسب الفرض.

وإذا أغمضنا حتى عن هذه النقطة وسلّمنا ـ ولو جدلاً ـ بحصول أصل المعجزة وسبرنا غور مسرحها من خلال الجغرافيا التاريخية لهذا العمل، فاننا نجد ان من

(١) انجيل يوحنا اصحاح.

المستحيل أن يكون موقعها ومسرحها هو قانا لبنان التي لم يدخلها السيد المسيح (ع) قط بحسب الظاهر، بل لا بد أن تكون اسطورة قد صوِّرت وأُخرجت أحداثها في قانا الجليل في فلسطين وهي التي يطلق عليها اليوم كفرقانا.

ولعل ما دفع المسيحيين إلى إثارة الضجة حول قانا لبنان هو وجود بعض الرسوم المحفورة على الصخور في منطقة الخشنا بجوار قانا، وهي لا تدل على شيء من ذلك، إذ من المحتمل جداً أن يكون حفرها عائداً إلى ما بعد السيد المسيح (ع) بزمن بعيد خصوصاً وان من المعلوم أن انتشار الديانة المسيحية ودخولها إلى المنطقة لم يكن في عصره (ع) وإنما كان في عصر التلاميذ والرسل وعلى أيديهم، فيكون حفرها عبارة عن ابراز الواقع المسيحي للمنطقة في ذلك الزمان.

هذا كله إذا قبلنا ان هذه النقوش مسيحية المصدر مع انه لا دلالة فيها على كل ذلك.

وهذه الأمور كلها سنراها إن شاء الله تعالى مفصّلة فيما يلي ونثبت من خلالها عدم واقعية ما ذكره يوحنا زاعماً أنه كانت معجزة.

نص المعجزة المزعومة

في الغد[1] أراد يسوع أن يخرج إلى الجليل فوجد فيلبس فقال له: اتبعني، وكان فيلبس من بيت صيدا من مدينة اندراوس وبطرس، فيلبس وجد نثنايل وقال له: وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة فقال له نثنايل: أمن الناصرة يكون شيء صالح، قال له: فيلبس تعال وانظر، ورأى يسوع نثنايل مقبلاً إليه فقال عنه: هوذا اسرائيلي حق لا غش فيه، قال له نثنايل: من أين تعرفني أجاب يسوع وقال له: قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك، أجاب نثنايل وقال له: يا معلم أنت ابن الله أنت ملك اسرائيل أجاب يسوع وقال له: هل آمنت لأني قلت لك

(١) أي في اليوم الثاني من اعتماد السيد المسيح (ع) على يد يوحنا المعمدان في بيت عبرة في عبر الأردن حيث كان يوحنا يعمد ـ وهي إلى الشمال من البحر الميت يلاحظ الإصحاح الأول عدد ٢٧ وما بعده.

اني رأيتك تحت التينة سوف ترى أعظم من هذا، وقال له: الحق الحق أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان.

الإصحاح الثاني: وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك، ودعي أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العرس، ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له: ليس لهم خمر، قال لها يسوع: مالي ولك يا امرأة، لم تأت ساعتي بعد، قالت أمه للخدام: مهما قال لكم فافعلوه، وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة، قال لهم يسوع: املأوا الأجران ماء فملأوها إلى فوق، ثم قال لهم: استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكأ فقدموا، فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمراً ولم يكن يعلم من أين هي، لكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا، دعا رئيس المتكأ العريس، وقال له: كل انسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاً ومتى سكر فحينئذ

الدون أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن، هذه بداية الآيات التي فعلها يسوع في قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه.

وبعد هذا، انحدر إلى كفرناحوم هو وأمه وأخوته وتلاميذه وأقاموا هناك أياماً ليست كثيرة، وكان فصح اليهود قريباً فصعد يسوع إلى أورشليم ووجد في الهيكل الذين كانوا يبيعون بقراً وغنماً وحماماً والصيارف جلوساً فصنع سوطاً من حبال وطرد الجميع من الهيكل الخ[١]..

(١) انجيل يوحنا الاصحاح الأول والثاني.

حرمة الخمر في العهدين

في العهد القديم:

لقد ورد في العهد القديم كثير من النصوص التي تذم الخمر وشاربها وتحرم هذه الخطيئة وتوعد المبتلين بها بالعذاب والبعد عن الرحمة الالهية تارة وبالرجم والقتل تارة أخرى.

وهذا الذم والنهي تارة يختص بالإدمان وأخرى يشمل مطلق السكر وثالثة ينهى عن أصل شرب الخمر، مما لا يدع مجالاً للشك في ان هذا العمل مبغوض لله تعالى من الأساس بحيث لا يمكن أن يتصور أحد أن أحداً من بني اسرائيل يمكنه أن يبتلى بهذا الذنب ثم يجعل منه فضيلة وكرامة، إلا إذا ادّعى بطلان هذه النواهي واستطاع إثبات عدم قداستها وهو ما لم يحصل من نبي قط.

ومعه فكيف يتصور ذلك بحق السيد المسيح (ع) وهو

القائل بانه ما جاء لينقض الناموس (أي شريعة موسى والأنبياء) وان زوال السماء والأرض أيسر من أن تزول كلمة أو حرف من الناموس.

مع النصوص:

والأمر اللافت في المقام أن نجد نصوص النهي عن شرب الخمر، وبالأساليب الثلاثة التي أشرنا اليها آنفاً ـ أي النهي عن الادمان، وعن مطلق السكر، وعن أصل شرب الخمر ـ واستفادة تحريمها لم تقتصر على سفر من الأسفار، وانما نجدها في سائر هذه الأسفار وكتب الأنبياء، مما يؤكد الحقيقة التاريخية الواردة عن أهل البيت (ع) من أن الخمر ما حلّت في دين قط.

هذا بالرغم من اعتقادنا تحريف هذه الكتب، وإقرار أصحابها انها لم تكتب بأقلام الأنبياء وإنما كتبت بعد عصورهم بفترات طويلة، وهذا ما تشهد به نصوص

الكتاب المقدس نفسها بل هو ما أقرّ به علماء أهل الكتاب[1].

هذا مع ان مؤلف أو مؤلفي العهد القديم يصرون على نسبة المعصية والسكر والزنى والعياذ بالله إلى الأنبياء سلام الله عليهم مما يسقط قداستهم ومصداقيتهم في الالتزام بأوامر الله تعالى ونواهيه.

ومهما يكن من أمر فإن نصوص التحريم هذه كثيرة جداً في العهد القديم، وهي وان كانت مختلفة في صراحتها اذ يتحدث بعضها عن السكر وبعضها الآخر عن الإدمان وبعضها عن أصل الشرب مطلقاً أو في ظروف خاصة كما أسلفنا إلا أن الأمر الذي لا شبهة فيه هو ان الخمرة تقتضي الفساد والذم والعذاب لشاربها وهو ما يظهر بوضوح من مجموع النصوص هذه.

ثم انه بملاحظة بسيطة نجد ان اختلاف هذه النصوص انما هو للدلالة على مدى ما لكل نوع منها من سلبيات

(١) يلاحظ مقدمات الكتاب المقدّس للآباء اليسوعيين.

ومقتضيات للتحريم، وقد وقع نظير ذلك في النصوص الاسلامية أيضاً من قبيل: مدمن الخمر كعابد الوثن. وكل مسكر حرام ونحو ذلك.

وعلى كل حال، فإن نصوص العهد القديم كثيرة كما ذكرنا، منها:

وكلّم الرب هارون قائلاً، خمراً ومسكراً لا تشرب أنت وبنوك معك عند دخولكم إلى خيمة الاجتماع لكيلا تموتوا فرضاً دهرياً في أجيالكم وللتمييز بين المقدس والمحلل وبين النجس والطاهر ولتعليم بني اسرائيل جميع الفرائض التي كلّمهم الرب بها بيد موسى(١).

وهذا النص وإن كان ربما يوهم ان المنهي عنه هو حرمة شرب الخمر عند الدخول إلى خيمة الاجتماع خاصة، إلا ان ذيله الصريح في ان النهي لأجل التمييز بين النجس والطاهر ولتعليم بني اسرائيل الفرائض، يعني ان الخمر تدخل في عداد النجاسات ويدل ذلك على انها

---

(١) سفر اللاويين اصحاح ١٠ عدد ٨ ـ ١١.

ممنوعة مطلقاً، لأن النجاسات قد حرمت في عدة نصوص لنجاستها كما في تحريم بعض اللحوم والحيوانات فيقول معللاً: فهو نجس لكم أو هي نجسة لكم[1]، أي محرم عليكم.

ولا يحتمل أن تكون الخمر نجسة أو مانعة من التمييز بين النجس والطاهر والشرب منها يعني الموت ومع ذلك تبقى محللة في غير خيمة الاجتماع.

مع ان في النصوص الآتية ما ينهى عن أصل شربها ويذم فاعله كما سنرى.

ومن النصوص أيضاً:

الخمر مستهزئة، المسكر عجاج ومن يترنح بهما فليس بحكيم[2].

الزنى والخمر والسلافة تخلب القلب[3].

---

(١) سفر اللاويين اصحاح ١١ عدد ١ ـ ٨، والتثنية اصْحاح ١٤ عدد ٣ ـ ٨.
(٢) سفر الأمثال اصحاح ٢٠ عدد ١.
(٣) سفر هوشع اصحاح ٤ عدد ١١.

وحقاً ان الخمر غادرة[1].

لمن الويل لمن الشقاوة لمن المخاصمات لمن الكرب لمن الجروح بلا سبب لمن ازمهرار العينين للذين يدمنون الخمر، الذين يدخلون في طلب الشراب الممزوج، لا تنظر إلى الخمر إذا احمرت حين تظهر حبابها في الكأس وساغت مرقرقة، في الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالأفعوان[2].

وإذا كانت الخمر تغر الناظر اليها بحسن منظرها ورقة مائها ورونقها، فإن عاقبة شربها والسكر بها والإدمان عليها هي الخديعة والعذاب فهي تلسع كالحية وتلدغ كالأفعوان ولذلك توعد شاربها بالكرب والشقاوة وغير ذلك.

وأيضاً: ويل للمبكرين صباحاً يتبعون المسكر، للمتأخرين في العتمة تلهيهم الخمر، وصار العود

---

(١) سفر حبقوق اصحاح ٢ عدد ٥.

(٢) سفر الأمثال اصحاح ٢٣ عدد ٢٩ ـ ٣٢.

والرباب والدف والناي والخمر ولائمهم وإلى فعل الرب لا ينظرون وعمل يديه لا يرون، لذلك سبى شعبي لعدم المعرفة وتصير شرفاؤه رجال جوع وعامته يابسين من العطش لذلك وسعت الهاوية نفسها وحفرت فاها بلا حد[1].

فكان شرب الخمر إذن من أهم أسباب سبي بني اسرائيل إن لم تكن هي السبب الوحيد والأساسي الذي منه تولّدت الأسباب الأخرى بمقتضى هذا النص ولذلك توعّد شاربها بالويل وبالجوع والعطش.

وهذا المعنى أعني كون الخمر من أهم أسباب الفساد يمكن استفادته من النصوص الاسلامية أيضاً كما في الآيتين المباركتين اللتين ذكرناهما فيما سبق ومن الكثير المروي عن أهل بيت العصمة (ع) الذي يدل على ان الخمر أم الفساد وإن منها تتفرّع سائر المحرمات، حتى

---

(١) سفر اشعياء اصحاح ٥ عدد ١١ ـ ١٤.

ان بعض الأحاديث قد جعلت شارب الخمر أسوأ حالاً من تارك الصلاة.

وكذلك: ويل للابطال على شرب الخمر، ولذوي القدرة على مزج المسكر[1].

وحتى الأنبياء لم يسلموا في الانجيل والتوراة من الذم والإهانة على شرب الخمر: ففي سفر اشعياء: ولكن هؤلاء خملوا بالخمر وتاهوا بالمسكر، الكاهن والنبي ترنّحا بالمسكر، ابتلعتهما الخمر، تاها من المسكر، ضلاًّ في الرؤيا، قلقا من القضاء، فان جميع الموائد امتلأت قيئاً وقذراً[2].

فلقد جعل من الخمر ضلالاً وقيئاً وقذراً، حتى لقد جاء النهي حتى عن الجلوس مع من يشربون الخمر وعن معاشرتهم، فقال: «لا تكن بين شريبي الخمر»[3].

---

(١) سفر اشعياء اصحاح ٥ عدد ٢٢.

(٢) سفر اشعياء اصحاح ٢٨ عدد ٧ ـ ٨.

(٣) سفر الأمثال اصحاح ٢٣ عدد ٢٠.

ولا يحتمل أن يكون المراد من هذا النص النهي عن كونه أحد الشريبين كما ربما يدعى ظهوره فيه، وذلك لأن النهي عن شربها قد تقدم قبل قليل وهو وارد في نفس الفصل الذي ورد فيه هذا النص من سفر الأمثال يفصلهما بضعة فقرات فقط.

وعقوق الوالدين الذي يأمر الكتاب المقدّس برجم فاعله، قد جعل شرب الخمر من أهم موجباته وأسبابه، حتى غدا مجرد العقوق سبباً في اتهام العاق بانه سكير يستلزم الرجم، فيقول:

إذا كان لرجل ابن معاند ومارد لا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه ويؤدبانه فلا يسمع لهما يمسكه أبوه وأمه، ويأتيان به إلى شيوخ مدينته وإلى باب مكانه ويقولان لشيوخ مدينته ابننا هذا معاند ومارد، لا يسمع لقولنا وهو مسرف وسكّير فيرجمه جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت فتنزع الشر من بنيكم(١).

(١) سفر التثنية اصحاح ٢١ عدد ١٨ ـ ٢١.

الحرمة في العهد الجديد:

إذن، هذه الأحاديث المذكورة في العهد القديم تدل بما لا يدع مجالاً للشك على ان الخمر كلها فساد وضلال وذلك من خصائصها الذاتية، مما يعني عدم قابليتها لنسخ حكمها بطبيعتها وذاتها لو أمكن القول به وهي كافية في المقام.

إلا ان الأمر لم يقتصر ـ مع ذلك ـ على نصوص العهد القديم، بل نجد مضافاً إلى ذلك نصوص التحريم في العهد الجديد أيضاً.

ولقد أكّد بولس وغيره على هذه المسألة في مختلف رسائلهم وعظاتهم، بل حتى في ما يسمى بالأناجيل أيضاً يوجد ما يدل على ذلك.

ومعه فمن غير المعقول أن يكون الناس العاديون أو الكهنة وحتى القديسون أحسن حالاً من السيد

المسيح (ع)، وأقرب إلى الله تعالى وأبعد من الخطيئة منه.

وهم لم يكتفوا بنسبة صنع الخمر اليه (ع)، بل ذكروا على لسانه انه شرِّيب خمر وسكِّير. ولا بد من ملاحظة ان هذا التعبير بصيغته المذكورة يدل على شدة اهتمامه وإدمانه على الخمر والسكر ـ والعياذ بالله.

وهذا كله يؤكد الحقيقة القائلة بأن التعاليم الانجيلية كتبت مجاراة لعقائد اليهود في نسبتهم إلى السيد المسيح (ع) الكذب على الله تعالى والعياذ بالله، وفي أقل الفروض انه كان مخبولاً لا يدري ما يفعل وما يقول، اذ هو في نفس الوقت الذي يؤكد فيه حرصه على تعاليم العهد القديم والالتزام بها، فاذ به أول المخالفين لها والمتنكرين لأوامرها ونواهيها، وإذ تلاميذه أو تلاميذهم أشد حرصاً منه على ذلك، فهل هكذا يكون الرجل المقدّس أو الإلهي؟!

ومصلحة اليهود في هذه المسألة واضحة فهم من

جهة يحافظون على اعلائية العنصر الاسرائيلي على سائر العناصر البشرية لأنهم يحافظون على عقائد اليهود، وأما غيرهم فلا يبقى له أية مصداقية في الفكر والالتزام وبالتالي يتجلّى سقوطه عن المستوى البشري وهي دعوى اليهود، إذ يدور أمر هؤلاء الناس بين منكر لهذه التعاليم المسيحية فيكفر بأصل المسيحية وبين قابل لها ومعتقد بها هو أيضاً في صالحهم، فيكون إحداث هذه البلبلة الفكرية في أذهان الناس في صالح اليهود على كل حال.

اللّهم إلا إذا كانت نبوته أو ألوهيته على غرار نبوة لوط ونوح وداود وسليمان وسائر الأنبياء حسب وصف التوراة والعهد القديم لهم عموماً.

وعلى كل حال، فإن نسبة المعصية إلى سائر الأنبياء في العهد القديم ومخالفة التعاليم، وكذلك نسبتها إلى السيد المسيح (ع) في العهد الجديد، تدل على ان اليد التي كتبت العهد القديم ودونته هي نفسها التي دوّنت

العهد الجديد وإن تعددت الأسماء أو الأشخاص، واختلفت الصيغ والتعابير.

أشد الناس عداوة:

ولعل مسألة السيد المسيح (ع) والتعرُّض لها في موارد مختلفة وعديدة في القرآن الكريم واثبات معجزاته وعظمة مقامه، وتفنيد مزاعم اليهود سواء بالنسبة لخصوص السيد المسيح أو بالنسبة لابطال اعلائية عنصرهم على سائر العناصر، وبالتالي تفويت فرصة الاستفادة من تناقضات الناس، لعل هذه المسألة من المسائل الهامة التي جعلت من اليهود أشد الناس عداوة للذين آمنوا، وهذا طبعاً لا يعني انها كل السبب في ذلك، وهذا أمر واضح.

وكذلك جعلت من النصارى ـ وهم المسيحيون الواقعيون ـ من أقرب الناس مودّةً للذين آمنوا، باعتبار ان القرآن الكريم ينسجم من حيث المبدأ مع أساس الموقف المسيحي.

فقد قال تعالى: ﴿لتجدنّ أشد الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون﴾[١].

نصوص تحريم الخمر:

ولنعد إلى نصوص العهد الجديد الدالة على تحريم الخمر فنقول:

لقد ذكر بولس في رسالته إلى أهل رومية: ان الخمر من أعمال الظلمة يجب خلعها والابتعاد عنها، فقال لهم:

«قد تناهى الليل وتقارب النهار فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور لنسلك بلياقة كما في النهار لا بالبطر

---

(١) سورة المائدة الآية ٨٢.

والسكـــر، لا بـــالمضـــاجـــع والعهـــر، لا بـــالخصـــام والحسد»[1].

والظاهر من هذا النص ان نصارى ذلك اليوم كانت الخمر قد استفحلت في وجودهم، بحيث استعصى علاجها بالبساطة المرجوّة، ولذلك جعل السكر من أعمال الظلمة، وخلع هذه الأعمال يكون بترك شربها من الأساس إذا لاحظنا الأحاديث المتقدمة في العهد القديم، ومن هنا يبدو ان بولس بعد استفحال أمرها لم يستطع النهي عنها مباشرة بل نهى عن السكر الذي هو لازم الشرب كما لا يخفى، وهذا الاصرار هو ما نراه في سائر الرسائل الآتية.

وحتى لو قلنا بانها دالة على خصوص السكر دون مطلق الشرب فالجمع بينها وبين نصوص العهد القديم الذي أكد السيد المسيح (ع) المحافظة عليه وانه ما جاء

(١) اصحاح ١٣ عدد ١٢ ـ ١٣.

لينقضه وأن زوال السماء أيسر من أن تزول كلمة أو حرف منه، يدل على ذلك.

أقول: إنه كيف يمكن الجمع بينها وبين ما ورد على لسانه (ع) ـ وحاشاه ـ من انه سكير وشرِّيب خمر الدالّ على غرقه في الخمر؟! وهل كان بولس وأمثاله أشد حرصاً على الدين والمؤمنين وأرجح عقلاً منه عليه السلام!! حاشا وكلاّ...

ولو كان كذلك فلماذا يدعون اليه لا إلى أنفسهم، وهل مثل هذه الدعوى في وضع وحالة كهذه تدلّ على رجاحة عقلهم أيضاً؟!...

وعلى كل حال فإن بولس قد أكّد على حرمة الخمر والسكر بها في مختلف رسائله، ففي رسالته الأولى إلى أهل كورنتوس، قد جعلها بمثابة عبادة الأوثان والسرقة ومضاجعة الذكور، وهؤلاء جميعاً لا يرثون ملكوت الله أي لا يدخلون الجنة، فيقول:

أم لستم تعلمون ان الظالمين لا يرثون ملكوت الله،

لا تضلوا لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعوا ذكور ولا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطئون يرثون ملكوت الله[1].

وفي رسالته إلى أهل غلاطية يقول: حسد قتل مسكر بطر وأمثال هذه التي أسبق فأقول لكم عنها كما سبقت فقلت أيضاً: ان الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله[2].

وأما في رسالته إلى افسس فقد كان أكثر وضوحاً وصراحة في بيان حرمة الخمر حيث جعلها تحتضن الخلاعة وهي مخالفة لمشيئة الرب، فيجب الابتعاد عنها، فيقول:

لا تكونوا أغبياء بل فاهمين ما هي مشيئة الرب، ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة[3].

---

(١) اصحاح ٦ عدد ٩ ـ ١٠.
(٢) اصحاح ٥ عدد ٢١.
(٣) اصحاح ٥ عدد ١٧ ـ ١٨.

ولـم يقتصـر علـى مجـرد النهـي عـن شـرب الخمـر والسكر بها، بل ذهب إلى أبعد من ذلك حيث نهى حتى عن مخالطة مدمني الخمر ومؤاكلتهم، مما يدل على مدى حرصه على عدم ابتلاء الناس بهذه العادة السيئة. وبالتالي عزلة المدمنين على السكر والخمر لعلهم يتوبون ويرجعون عنها.

وبلغ من شدة النكير عليها ان جعلها مساوية لعبادة الأوثان والزنى الذي يستحق فاعله القتل.

فقال في رسالته الأولى إلى أهل كورنتوس: وأما الآن فكتبت اليكم ان كان أحد مدعواً أخاً زانياً أو طمّاعاً أو عابد وثن أو شتّاماً أو سكّيراً أو خاطفاً ان لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا[١].

هذا كله بالنسبة إلى سائر الناس، وأما بالنسبة إلى الذين يريدون الرهبنة والكهانة فقد أكّد كثيراً أيضاً على

---

(١) اصحاح ٥ عدد ١١.

أن لا يكـون مـدمـن خمـر وحتـى النسـاء اللـواتـي يـردن القداسة.

وهذا أمر طبيعي بحسب ما تقدم من نصوص عن الانحراف والخطيئة التي يبتلى بها مدمن الخمر من خلب القلب والخداع وعقوق الوالدين وغير ذلك مما تقدم ذكره، وما تنتجه من مساوىء بحسب ذاتها، إذن من الطبيعي جداً أن يأمزه بالابتعاد عنها، بعدما نذر نفسه لخدمة هذا الدين بكل ما أُوتيَ من طاقات وقدرات، وما يستلزم ذلك من الإعراض عن الدنيا وعن مظاهر الترف والمجون فيها، مما يحتاج إلى الوعي الكامل والتعقُّل في سائر الأمور، والتبصُّر في ما يريد وهذا يتناقض مع طبيعة الخمر الخادعة.

وهنا لا بد من طرح السؤال من جديد وهو انه هل يتصور انّ يكون الكاهن والأسقف أحرص على هذه الأمور من السيد المسيح (ع) نفسه؟ فالكاهن معرض عن ملذّات الدنيا وإدمان الخمر بينما المسيح أكول وشرِّيب

خمر أمام الملأ حتى يعيِّره الناس بذلك بل ويصنع لهم خمراً فيساعدهم على اقتراف مثل هذه المعصية؟! حاشا وكلاّ...

ومهما يكن من أمر فلقد قال بولس في رسالته الأولى إلى تيموثاوس: فيجب أن يكون الاسقف بلا لوم بعل امرأة واحدة صاحياً عاقلاً محتشماً مضيفاً للغرباء غير مدمن الخمر[١].

وكذلك في رسالته إلى طيطس يقول: لأنه يجب أن يكون الاسقف بلا لوم كوكيل الله غير معجب بنفسه ولا غضوب ولا مدمن خمر[٢].

وكذلك العجائز في سيرة تليق بالقديسات غير نمامات ولا مدمنات خمر[٣].

هذا ما ذكره بولس، ونفس الشيء قد فعله بطرس في

(١) اصحاح ٣ عدد ٢ ـ ٣.
(٢) اصحاح ١ عدد ٧.
(٣) طيطس اصحاح ٢ عدد ٣.

رسالته الأولى حيث ساوى بين الدعارة وإدمان الخمر وعبادة الأوثان، ولكنه كان أكثر صراحة من بولس في إبراز مكنون نفسه، حيث استعمل التعريف التوراتي لغير بني اسرائيل وهو (الأمم)، وعلى كل حال فقد جعل هذه الأمور من المحرمات التي ينبغي للمؤمنين الابتعاد عنها، فيقول:

لأن زمان الحياة الذي مضى يكفينا لنكون قد عملنا إرادة الأمم سالكين في الدعارة والشهوات وإدمان الخمر والبطر والمنادمات وعبادة الأوثان المحرمة(١).

وحتى في الأناجيل قد ورد في مدحها ليوحنا المعمدان، انه يكون عظيماً أمام الرب ولا يشرب الخمر ولا أي مسكر ويمتلىء من بطن أمه من الروح القدس(٢).

فلو لم يكن الإقلاع عن شرب الخمر والتنزُّه عن المسكرات من الأمور الواجبة والمرضية لله تعالى، لم

---

(١) اصحاح ٤ عدد ٣٤.

(٢) انجيل لوقا اصحاح ١ عدد ١٥.

يكن ليوحنا مثل هذه الفضيلة التي اقتضت مدحه وجعلت منه عظيماً أمام الرب وامتلأ من الروح القدس من بطن أمه كما ذكر لوقا، بينما السيد المسيح (ع) الذي يفترض ان يكون الغاية التي جاء يوحنا المعمدان مبشِّراً بها ولا يستحق أن يحل سيور حذائه[1]، لم يمتلىء السيد المسيح عليه السلام من الروح القدس إلا بعد اعتماده من يوحنا[2].

وهذا الكلام يقتضي أن يكون يوحنا أفضل وأعظم من السيد المسيح وهو ما لا يريده ولا يرتضيه كاتب الانجيل أو الداعية إلى ألوهية المسيح!!.

بل لقد ورد ذم شارب الخمر ومجالس السكارى حتى على لسان السيد المسيح (ع) نفسه، وجعل مصيره مع المرائين في جهنم فيقول:

ولكن إن قال ذلك العبد الرديء في قلبه: سيدي يبطىء

(١) انجيل متى اصحاح ٣ عدد ١١ .

(٢) انجيل متى اصحاح ٣ عدد ١٦ .

قدومه، فيبتدىء يضرب العبيد رفقاءه، ويأكل ويشرب مع السكارى، يأتي سيد ذلك العبد في يوم لا ينتظره وفي ساعة لا يعرفها فيقطعه ويجعل نصيبه مع المرائين[1].

وهو نص صريح في حرمة حتى الأكل والشرب مع السكارى، ومعه كيف يمكن تصديق انه(ع) قد حضر العرس المشتمل على مائدة الخمر، فضلاً عن ان يحوّل لهم الماء إلى خمر كما هو الحال في قضية قانا الاسطورة أَوَليست هذه معجزة خطيئة؟! بل كيف يمكن أن يكون مع ذلك أكولاً وشرِّيب خمر[2].

إلا إذا كان اليهود قد حاربوه وحاولوا قتله وصلبه، لأنهم رأوا فيه الإنسان المتناقض مع نفسه قولاً وفعلاً وبالتالي يكونون أفضل منه وأحرص على الالتزام بأوا الكتاب المقدس ونواهيه فتكون هذه المعجزة قد آتـ أكلها ونال جزاءها وهذا ما يريده اليهود فعلاً.

---

(١) انجيل متى اصحاح ٢٤ عدد ٤٨ ـ ٥١.

(٢) انجيل متى اصحاح ١١ عدد ١٨ ـ ١٩.

مع المعجزة المعصية

وإذا رجعنا إلى اسطورة العرس التي ذكرها صاحب انجيل يوحنا ومعجزته المدعاة في قانا الجليل وجدنا انها تخالف ما ذكروه في سائر الأناجيل الأخرى حول سيرة السيد المسيح (ع)، بل ويكذب بعضها بعضاً مما يفقدها مقومات الصدق والثبوت، فانه مضافاً إلى ما تقدم من تحريم الخمر في العهدين، الذي يجعل من المستحيل قبول دعوى أن يقوم السيد المسيح (ع) بمثل هذا العمل وهذه المعصية، نلاحظ انها لا تخرج ـ بحسب الوجه والطريقة التي صورت بها ـ عن كونها مجرد عمل مسرحي ابتدعه صاحب الانجيل الرابع، أو غيره ممن أرادوا الإساءة إلى السيد المسيح (ع)، وابرازه على انه عاصٍ لله تعالى، وبالتالي يثبتون من خلال ذلك انه لم يكن صادقاً في دعواه النبوة كما ارتكز في أذهان الناس

بعده، بعدما عجزوا عن اثبات ذلك في حياته بينهم.

والذي يدعونا للاعتقاد بذلك الأمور التالية:

الأمر الأول:

إن كاتب المسرحية قد ذكر: ان هذه المعجزة قد حصلت بعد ثلاثة أيام من رؤية يوحنا المعمدان للسيد المسيح، ولم يذكر انه اعتمد من يوحنا أم لم يعتمد، مع ان أصحاب الأناجيل الأخرى صرّحوا بأنه اعتمد منه في الأردن، ثم أخذ إلى البرية ليجرب من ابليس أربعين يوماً، ثم بعد انتهاء المدة ذهب هو وابليس إلى أورشليم وجربه فيها أيضاً[1].

فلا يمكن الجمع بين قول صاحب المسرحية انه توجّه من بيت عبرة[2] حيث كان يعمّد الى منطقة

(١) انجيل متى اصحاح ٣ عدد ١٦ إلى اصحاح ٤ عدد ١ ـ ٥، ومرقس اصحاح ١ عدد ٩ ـ ١٣، ولوقا اصحاح ٣ عدد ٢١ إلى اصحاح ٤ عدد ١ ـ ٩.

(٢) انجيل يوحنا اصحاح ١ عدد ٢٨.

الجليل، وبين ما ذكره الآخرون من انه بقي أكثر من أربعين يوماً في المنطقة بعد اعتماده من يوحنا.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن بيت عبرة كانت واقعة على نهر الأردن، إلى الشمال من البحر الميت والشرق من أورشليم وأريحا، تأكّد لنا أن بداية حركة السيد المسيح في الدعوة كانت من أورشليم باتجاه الجليل إلى الناصرة فكفرناحوم حيث سكن فيها بعدما طردوه من الناصرة[1]، وذلك بعد اعتقال يوحنا.

فلقد ذكر أصحاب الأناجيل الأخرى أن المسيح قد سمع باعتقال يوحنا وهو بعد في أورشليم فرجع إلى الجليل ثم ترك الناصرة وسكن في كفرناحوم الخ[2].. ثم بدأوا بذكر معجزاته وأعماله واختياره لتلاميذه.

وهذا ما يثير مشكلة أخرى وهي انه ما دام قد ابتدأ ببشارته ودعوته بعد اعتقال يوحنا وانطلاقه إلى الجليل،

---

(١) انجيل لوقا اصحاح ٤ عدد ١٦ ـ ٣١.

(٢) انجيل متى اصحاح ٤ عدد ١٢ ـ ١٧، مرقس اصحاح ١ عدد ١٤ ـ ١٥.

كيف يمكن أن يصحّ كلام يوحنا صاحب الانجيل بأن يسوع قد جاء إلى اليهودية بعد هذه المعجزة ومعجزات كثيرة غيرها ـ جاء إلى اليهودية مع تلاميذه فأقام فيها وأخذ يعمد وكان يوحنا أيضاً يعمّد.. وكان الناس يجيئون ويتعمّدون وذلك قبل أن يلقى يوحنا في السجن[1].

وهذا الاختلاف والتناقض يدل إما على كذب يوحنا صاحب الانجيل وصدق الآخرين أو على صدقه وكذبهم أو على كذب الجميع، وحيث لا معين لأحد الاحتمالات لا بد من القول بسقوط الجميع عن الاعتبار والمصداقية والقداسة.

وعلى كل حال فإن التناقضات بين هذه الأناجيل بعضها مع بعض كثيرة جداً وهي ظاهرة غير خافية على أحد، الأمر الذي يدعونا إلى القول بذلك.

---

(١) انجيل يوحنا اصحاح ٣ عدد ٢٢ ـ ٢٤.

الأمر الثاني:

لقد ذكر كاتب المسرحية أن أم المسيح كانت موجودة معه في العرس مما يدل على انها رافقته في هذه الرحلة، وأما الآخرون فذكروا انه كان يعلّم في كفرناحوم فجاءت أمه وأخوته وطلبوا أن يروه فرفضهم قائلاً من أمي ومن اخوتي، ثم نظر حوله إلى الجالسين وقال: ها أمي واخوتي لأن من يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي وأمي[1]. مما يدل على انهم لم يكونوا معه في رحلته تلك.

ثم ان هذا التعبير «من أمي» يشير إلى ان سوء العلاقة بينهما قد وصل إلى درجة كبيرة تبرر له البراءة منها وجعل أمه واخوته تلاميذه. وتبرر أيضاً عدم صحبتها له وتقوي ذلك، وسيأتي قريباً ما يدل على ان اخوته لم يكونوا مؤمنين به، وبوحدة السياق والجمع بين المقامين

---

(١) انجيل مرقس اصحاح ٣ عدد ٣١ ـ ٣٥، ومتى اصحاح ١٢ عدد ٤٦ ـ ٥٠، ولوقا اصحاح ٨ عدد ١٩ ـ ٢١.

ربما يستفاد كفر أمه به أيضاً، وعدم تصديقها له.

ويظهر من الأناجيل الأخرى أيضاً انها لم تكن معه في تلك الرحلة حيث قد عبّروا عنه بأنه رجع إلى الجليل بعدما سمع باعتقال يوحنا كما تقدم: وكان يسوع يمشي على شاطىء بحر الجليل فرأى أخوين الخ[١].. مما يشير إلى انه كان يمشي لوحده. وإن كان يمكن المناقشة في هذا الاستظهار، بأن رؤيته للأخوين لا يلزم منها عدم رؤية الآخرين لهما أيضاً.

هذا، وقد يستفيد البعض وجود سوء علاقة، وعدم احترام من المسيح لأمه، من قوله لها حسب نص الانجيل في هذه الاسطورة بالذات: مالي ولك يا امرأة.

الأمر الثالث:

إن ما ذكره على لسان السيد المسيح (ع) في حواره مع أمه بقوله: مالي ولك يا امرأة، لم تأت ساعتي بعد،

---

(١) انجيل متى اصحاح ٤ عدد ١٨ ـ ١٩، ومرقس اصحاح ١ عدد ١٦ ـ ٢٠، ولوقا اصحاح ٥ عدد ١ ـ ١١.

يدل على انه كان عالماً بما سيحدث وانه قادر على ذلك، ولا بد من وقوعه منه ليثبت دعواه، لكن بعد حين. ولكن ظهر في نفس اللحظة: أنه لم يكن صادقاً في قوله هذا بل هو قد وقع في التناقض مع الذات والعياذ بالله. إذ من غير المعقول أن لا تكون ساعته قد أتت بعد، ثم بلحظة وبقدرة قادر تتغير هذه الساعة وتأتي وتكون المعجزة!!..

والغريب في الأمر ان نفس التعبير وإن ساعته لم تأت بعد، وابراز كذبه قد ورد بعينه ـ بحسب كاتب الانجيل ـ بعد مدة طويلة من هذه الحادثة، وبعد صنع أكبر معجزاته من شفاء المرضى والمشي على الماء واطعام الخمسة آلاف رجل، وان تلاميذه لم يكونوا بعد قد آمنوا به، فيقول:

ولما اقترب عيد المظال عند اليهود قال له اخوته: اترك هذا المكان واذهب الى بلاد اليهودية حتى يرى التلاميذ أعمالك، فلا أحد يعمل في الخفية إذا أراد أن

يعرفه الناس، وما دمت تعمل هذه الأعمال فاظهر نفسك للعالم، وكان اخوته أنفسهم لا يؤمنون به. فقال لهم يسوع ما جاء وقتي بعد... اصعدوا أنتم إلى العيد، فأنا لا أصعد إلى هذا العيد لأن وقتي ما جاء بعد ـ قال لهم هذا وبقي في الجليل. ولما صعد اخوته إلى العيد صعد بعدهم في الخفية لا في العلانية(١).

ونلاحظ في هذا النص الأمور التالية:

أولاً: انه صريح في ان كل أعماله الماضية كانت في الخفاء لا في العلن وان الناس لم يكونوا يعرفونه حتى ذلك الحين وهو ما يتناقض بوضوح مع قول نفس الكاتب بأن كثيراً من الناس كانوا قد آمنوا به قبل ذلك حين رأوا الآيات التي صنعها(٢).

وبعد هذا الإيمان أيضاً نجد انه مشى على الماء أمام الناس وأطعم خمسة آلاف رجل من خمسة أرغفة

---

(١) انجيل يوحنا اصحاح ٧ عدد ١ ـ ١٠.
(٢) انجيل يوحنا اصحاح ٢ عدد ٢٣.

وسمكتين وشفى كثيراً من المرضى، فهل يعقل الخفاء مع ذلك!.

ثانياً: إن قول اخوته له: اذهب إلى بلاد اليهودية حتى يرى التلاميذ أعمالك يدل على انهم لم يكونوا قد رأوا هذه الأعمال ولم يؤمنوا به مع انه قد صرّح في هذه المسرحية انهم رأوها وآمنوا به ورأوا سائر معجزاته أيضاً.

ثالثاً: يبدو انهم يصرون على ابراز رذيلة الكذب فيه ـ والعياذ بالله ـ وإلا فما معنى قوله لهم أما أنا فلا أصعد إلى هذا العيد لأن وقتي ما جاء بعد، ثم صعد بعدهم مباشرة إلى العيد في الخفية لا في العلانية؟!.

الأمر الرابع:

إن من غير الطبيعي أن ينفرد يوحنا صاحب الانجيل بذكر هذه المعجزة دون غيره من كتاب الأناجيل، وهو المتأخر عنها جميعاً، فإن تاريخ وجوده يرجع إلى حدود سنة ١٥٠ بعد المسيح.

وأما الآخرون فلم يتعرّضوا لها لا من قريب ولا من بعيد، بل ولم يرد ذكز قانا الجليل في كتبهم قط، فمن غير المحتمل أن يطلع عليها يوحنا دون غيره، وهي التي لو صحت لكانت أهم عمل قام به السيد المسيح (ع)، إذ تشكل باكورة معجزاته حسب دعوى يوحنا، والتي يفترض أن تكون بداية لتغيير مجرى التاريخ، ويكون لها تأثير خاص وهام على نفوس الناس عامة.

فلو صحت مثل هذه الدعوى لدلّت على تلاعب كتّاب الأناجيل الثلاثة وكتمانهم لها، وهو خيانة كبرى لسيرة السيد المسيح (ع)، خصوصاً وانهم كتبوا أناجيلهم بطريقة سرد قصصي لحياة السيد المسيح (ع) وسيرته، مما يشكل حافزاً طبيعياً على ذكرهم لها دون يوحنا الذي حاول أن يفلسف الأحداث على طريقته الخاصة، مما يعني ان ذكره لها ـ إن كان لا بد من ذكرها ـ لا بد أن يكون بنحو الإشارة والاجمال كما تقتضيه طبيعة كتابه.

فإما أن يكون صاحب الانجيل الرابع قد ابتدعها من

وحي خياله، وإما أن يكون بعض الذين زادوا في هذا الانجيل ـ كما اعترف به رهبان النصارى والباحثون في الكتاب المقدّس في أكثر من موضع في هذا الانجيل[1] ـ، هم الذين زادوها فيه حباً بالخمر أو عداءً للسيد المسيح (ع).

الأمر الخامس:

وثمة تناقض آخر وهو غريب بحد ذاته يؤدي إلى الاعتقاد بعدم صدقية أي من الكتب الأربعة بتمامها، وهو ان كاتب المسرحية ذكر ان السيد المسيح (ع) ذهب إلى أورشليم بعد أيام قليلة من هذه الحادثة وطرد الباعة من الهيكل، ثم أرجعه إلى الجليل ثم منها إلى أورشليم مرة ثانية فالأردن، ثم عاد إلى أورشليم وفي المرة الثالثة كان التآمر عليه وصلبه!..

مضافاً إلى ما ذكره من أن طرد الباعة من الهيكل كان أثناء قيام يوحنا المعمدان بمعموديته، وانه أخذ يعمد

(١) يراجع على سبيل المثال مقدمة انجيل يوحنا شرح الآباء اليسوعيين.

عندما كان يوحنا يعمد أيضاً كما ألمحنا إليه.

وأما الثلاثة الآخرون فالمستفاد من كتبهم انه دخل أورشليم مرة واحدة بعد ابتدائه بالدعوة، وبعد اعتقال يوحنا وقتله، وكان ذلك في أواخر أيامه، وطرد الباعة من الهيكل وفي هذه المرحلة كان التآمر عليه.

هذا إذا استثنينا رحلة واحدة كانت له وهو لا يزال طفلاً صغيراً، لم يذكروا فيها انه كان قد بعث بعد، خصوصاً وانهم ذكروا انه قد ابتدأ دعوته حينما أتمّ الثلاثين سنة من عمره الشريف.

الأمر السادس:

إن المشهد الأخير من هذه المسرحية يدل على ان كاتبها كان مصرّاً على ابراز السيد المسيح (ع) متلبساً بالمعصية ومخالفاً لأمر الله تعالى حيث يقول: فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمراً... دعا العريس وقال له: كل إنسان انما يضع الخمر الجيدة أولاً، ومتى سكروا

فحينئذٍ الدون، وأما أنت فقد أبقيت[1] الخمر الجيدة إلى الآن.

ولا يخفى أيضاً أن الكاتب أراد بذلك أن يبرز ان الخمر المصنوعة بالمعجزة كانت أكثر جودة من الخمر المعطاة أولاً.

غير ان اعتراض الرئيس عليهم قد أحرج العريس لأن مقتضى العادة أو المجاملة أو إبراز الجاه والكرم إنما يكون باعطاء الجيد أولاً كما ذكره الرئيس، وأما الدون فانه يترك إلى الآخر لأن من الطبيعي أن السكران لا يعود يفرق بين الجيد وغيره، فيعطى من الدون.

وإعطاء الدون أولاً يؤدي إلى إعتراض الضيوف واستهانتهم بالعريس وهذا أمر طبيعي، بالإضافة إلى ان نفاد الخمر بهذه السرعة يدل على مدى جودة الخمر المعطاة. إذ من البعيد أن تنفد بهذه السرعة مع كونها رديئة.

---

(١) وفي ترجمة أخرى حفظت وفي ثالثة تركت.

كما ان من غير المحتمل أيضاً أن يكون الخمر المهيأ لهذا العرس قليلاً بهذا المقدار لأن المفروض أن العريس كان غنياً، ولهذا دعا الناس إلى المتكأ لا إلى بيته وهو الفندق أو المقهى في أيامنا هذه.

وبناءً على ما تقدم فإن هذه المعجزة لا بد وأن تكون قد حصلت بعد سكر الحضور، وفي أقل الفروض في بداية سكرهم، وهذا ما يدل عليه اعتراض الرئيس، وإلاّ لم يكن لاعتراضه أي معنى.

وهذا يشير ان لم يدل على ان السيد المسيح (ع) كان يريد اسكارهم أو زيادة توغُّل السكر فيهم.

وهو أمر لا يمكن تصوره فضلاً عن تصديقه والاعتقاد به، بعدما تقدم من نصوص التحريم سواء لأصل شرب الخمر أو للسكر بها.

إلا إذا كان القديسون والكهنة الذين تحدثوا عن الخمر والسكر بما تقدم، والذين التزموا بهذه الوصايا

كانوا أرجح عقلاً وأثبت موقفاً من السيد المسيح نفسه!!

الأمر السابع:

إن كاتب المسرحية ادّعى أن هذه الحادثة كانت بداية معجزاته وانها كانت السبب في ايمان تلاميذه به، مع انهم كانوا في خدمته يرافقونه في حله وترحاله، مع ان الآخرين ذكروا معجزات أخرى كان قد صنعها قبل هذه المسرحية كما يقتضيه التسلسل التاريخي للأحداث.

فلقد ابتدأ بصنع المعجزات حينما كان يدعو تلاميذه إلى صحبته والايمان به كما حصل في سفينة سمعان بطرس حيث أخرج لهم سمكاً كثيراً، كادت السفينة أن تغرق بسببه بعدما سهروا الليل كله في البحر دون صيد وكذلك سفينة ابني زبدي[1].

مما يدل على ان تلاميذه كانوا قد آمنوا به قبل ذلك، وانها ليست المعجزة الأولى التي جرت على يديه،

---

(١) انجيل لوقا اصحاح ٥ عدد ١ ـ ١١.

فدعوى يوحنا بانها كانت أولى معجزاته، وان تلاميذه آمنوا به بعدها دعوى غير صحيحة.

الأمر الثامن:

إن قيمة أي معجزة مهما كان نوعها تكمن في مدى تأثيرها على المجتمع الحاضر بحسب الفرض، بل هذا هو مورد صنع المعجزة أية معجزة، وإلا فلو كانت في الظل بحيث لا يعلم بها من يفترض انها صنعت لأجلهم، فانها تفقد قيمتها ومصداقيتها إلا بالنسبة لصانعها والمفروض انه في غنى عنها، وتخرج عن كونها معجزة كما لا يخفى، إلا إذا كان نفسه شاكاً بصدق دعواه!..

فلو صدقنا حديث السيد المسيح مع اخوته والذي ذكره صاحب المسرحية كما مر ذكره، وهو ان عمل السيد المسيح (ع) كان في الخفاء حتى تلاميذه لم يعلموا به ليؤمنوا كما يدل عليه النص المذكور فيما تقدم لها فانه يعني ان هذه المعجزة بقيت مجهولة ومخفية حتى ذلك

الحين، وبالتالي تكون بدون أية قيمة إذ انهم حتى لو علموا بها بعد هذه الفترة فلا تخرج بنظرهم وبنظر كل من يسمع بها عن كونها مجرد قصة قابلة للتكذيب كما هي قابلة للتصديق.

المكان المفترض للمسرحية

ولو غضضنا الطرف عن كل ما تقدم وتصورنا حدوث المعجزة بالفعل أو تعاملنا معها معاملة الأدب الاسطوري والمسرحي المختلق، فان الجغرافيا التاريخية تدل على ان مسرحها انما هو قانا الجليل في فلسطين، ويستحيل تصورها وتمثيل احداثها ومشاهدها في قانا لبنان، وذلك للأسباب التالية:

الأول:

إن أصحاب الأناجيل بما فيهم يوحنا قد ذكروا انه انتقل من الناصرة وانحدر إلى كفرناحوم الواقعة على بحيرة طبرية، وقانا الجليل في فلسطين تقع بين المدينتين. وهذا يعني ان توقفه قد كان فيها بملاحظة رحلته الحركية في مناطق الجليل، خصوصاً وان قانا لبنان كانت تابعة آنذاك لفينيقية الوثنية، ولقد ذكر

السيد المسيح (ع) بأنه لم يرسل اليهم، وإنما أرسل إلى خراف بيت اسرائيل الضالة فقط[1]. مما يعني انه لم يكن له أي طريق إلى قانا لبنان، مضافاً إلى ان صاحب المسرحية قد ذكر ان العرس كان لأحد أغنياء اليهود ولذلك كان قد أقام العرس في المتكأ أي في مكان عام كالفندق في أيامنا هذه، وهو يعني ان العرس كان في مناطق اليهود لا في مناطق الوثنيين، ويدل عليه أيضاً وجود الأجران الستة حسب تطهير اليهود.

السبب الثاني:

إنه يستحيل أن يكون مسرح الاسطورة المفترضة في قانا لبنان، بملاحظة المسافة الواقعة بينها وبين أورشليم مبدأ رحلته ودعوته، إذ لا يمكن قطع هذه المسافة التي تزيد على مئتي كلم في أقل من ثلاثة أيام ماشياً على الأقدام كما هو المفروض[2].

(١) انجيل متى اصحاح ١٥ عدد ٢٤.

(٢) ذكروا انه في رحلته الأخيرة إلى أورشليم أرسل بعض تلاميذه إلى إحدى =

خصوصاً وأن مشيه لم يكن حثيثاً، بل كان يكرز ويعظ ويختار تلاميذه ويصنع المعجزات كما تقدمت الاشارة اليه، مما يجعل قطع هذه المسافة في هذه المدة البسيطة أمراً مستحيلاً.

السبب الثالث:

ذكر متّى انه بعد ما شفى كثيراً من المرضى في كفرناحوم وما حولها من مناطق الجليل أخذ يوبخ القرى التي صنعت فيها أكثر قواته ومعجزاته لأنها لم تتب

= القرى القريبة منها ليأخذوا له جحشاً أو أتاناً ليركبها ويدخل المدينة المقدسة راكباً عليها ليتم ما ورد في العهد القديم: قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك آتياً اليك راكباً على أتان أو جحش ابن أتان (متى ص٢١ ع١ ـ ٨) حسب تعبير مرقس إن الرب محتاج اليهما (ص١١ ع١ ـ ٨) ومثله لوقا (ص١٩ ع٢٨ ـ ٣٥)، وأما يوحنا فقال: ووجد يسوع جحشاً فركب عليه ليتم ما جاء في الكتاب الخ. . (ص١٢ ع١٤ ـ ١٥).

مما يعني انه لم يكن يملك وسيلة نقل قبل ذلك، ولو كان يملك لما كان بحاجة لغيره ولما صح تعبير يوحنا بالايجاد، وكان يمكنه أن يحقق النبوءة بأن يركب حماره لا حمير الناس، خصوصاً مع تصريحهم بحاجته له ليحقق النبوءة.

ويعدها بالويل.. إلى أن قال: لأنه لو صنعت في صور وصيدا القوات المصنوعة فيكم لتابتا قديماً الخ[1]..

في إشارة إلى ان الوثنيين في هذه المناطق ربما كانوا أكثر تجاوباً وانسجاماً مع هذه الدعوة من بني اسرائيل الذين أرسل اليهم دون غيرهم كما تقدّم من كلامه، ولا يخفى ما في هذا الكلام من الدلالة على قساوة قلوبهم وبعدهم عن هدى الحق.

كما ان تأكيده على تلاميذه بألا يدخلوا مدن غير اليهود من السامريين والوثنيين يعني ان كل فئة كانت تعيش في مناطقها الخاصة بها، إلا ما يمكن أن يكون قليلاً جداً إلى حد الندرة، كل ذلك يشير إلى انه لم يدخل هاتين المدينتين أصلاً.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار ان قانا لبنان كانت من اعمال صور في ذلك الزمان، إن لم نقل بانها كانت جزءاً منها بملاحظة القبر المنسوب الى حيرام ملك صور، والذي

---

(١) انجيل متى اصحاح ١١ عدد ٢٠ ـ ٢٤.

لا يبعد عن الموضع الذي يدعى حصول المعجزة فيه من قانا اليوم سوى عدة مئات من الأمتار ـ إذا قلنا ذلك ـ فقد ثبت انه لم يدخل قانا لبنان أصلاً.

نعم ذكر متّى في انجيله قصة ربما أوهمت انه دخل إلى صور فقال: ثم خرج يسوع من هناك ـ من أرض جنيسارت ـ وانصرف إلى نواحي صور وصيداء، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت اليه ارحمني يا سيد يا ابن داود ابنتي مجنونة جداً. فأتت وسجدت له قائلة يا سيد أعنّي، فأجاب وقال: ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب، فقالت: نعم يا سيد والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها، حينئذٍ أجاب يسوع وقال لها: يا امرأة عظيم ايمانك ليكن لك كما تريدين فشفيت ابنتها من تلك الساعة(١).

وذكر مرقس هذه القصة ولكنه لم يذكر ان المرأة

---

(١) انجيل متى اصحاح ١٥ عدد ٢١ ـ ٢٨.

كانت خارجة من تلك المنطقة، وذكر مكان ذلك انه دخل بيتاً وهو لا يريد أن يعلم به أحد[١].

وهي قصة لا تدل على دخوله مدينة صور كما لا يخفى، بل هو قد التقى بالمرأة خارج حدود المنطقة كما صرّح به متّى، وهو ما يظهر من مرقس أيضاً حيث عبّر بقوله مضى إلى تخوم صور وصيدا الظاهر في ان مقصده كان تخومها وحدودها لا قلبها وداخلها، فان حدودها كانت تشكل طرف الجليل كما هو معلوم.

وعلى فرض دخوله لها وشفاء البنت فيها، فهي لا تدل على ما يراد اثباته في هذه المسرحية لأمرين:

الأول: انهما قد نصا على ان ذلك كان بعد مكثه في كفرناحوم ومنطقة الجليل مدة طويلة، وبعد تعنيفه لهم بعدما صنع فيهما أكثر قواته ومعجزاته كما هو صريحهما، بينما صرّح يوحنا بأن معجزته المسرحية كانت أول معجزاته.

---

(١) انجيل مرقس ١ صحاح ٧ عدد ٢٤ ـ ٣٠.

الثاني: يظهر منهما ان المرأة كانت قاصدة اياه في خروجها من صور ليشفي ابنتها وعلى الأقل فان ذلك قد كان بعد شياع خبره وذيوع صيته ولذلك بادرته حينما رأته وصرخت قائلة ارحمني يا سيد يا ابن داود الخ . . ومقتضى ما ذكره صاحب المسرحية انه لم يكن قد وصل بعد إلى حد الشهرة بين اليهود فضلاً عن غيرهم.

هذا بالإضافة إلى ان معجزة يوحنا ـ لو تمت ـ لكانت أهم بكثير من شفائه ابنة المرأة الكنعانية فلماذا ذكرا هذه دونها.

مع أن أصل هذه القصة تبدو مختلقة ومفتعلة أيضاً يراد منها اثبات اعلائية العنصر اليهودي على سائر الناس كما تقدمت الإشارة إليه، فانهما يفترضان أنه صرّح بأن غير اليهود كلاب لهم، وإن المرأة قد قبلت هذه الدعوى، وهو أمر لا يمكن تصوره والقبول به، اذ متى كان غير اليهود يقرّون بمثل ذلك.

مضافاً إلى انه يتنافى مع طبيعة السيد المسيح (ع)

وتواضعه، ويتنافى أيضاً مع صدق دعوته جميع الناس إلى الايمان به.

واحتمال أن تكون قد قبلت كلامه للضرورة وشدة حاجتها إليه تتنافى مع قوله لها: إن ايمانها عظيم لأنه لا يخلو اما أن يكون المراد به ان ايمانها به وبكلامه عظيم وهو يعني انها قبلت كلامه واقعاً وهو مستحيل، أو يكون المراد انها قبلت كلامه ظاهراً لمجرد الحصول على بغيتها فهو يتنافى مع ما ذكروه صريحاً من انه كان يعلم ما في قلوب الناس.

وعلى فرض كون التعبير كنائياً فمعناه ان المرأة كانت خادمة لبعض بيوت اليهود كما تقتضيه الكناية، وهو يتنافى مع طبيعة السيد المسيح (ع) المتواضعة بل يتنافى أيضاً مع أدنى درجات الأدب في التعامل مع الناس، ما لم يكن المتكلم معتقداً باعلائية العنصر اليهودي على غيره.

هذا بالإضافة إلى انه غير ظاهر من النص فان ظاهره

انها من تلك البلاد ولا علاقة لها بالخدمة، وربما يكون خروجها كان بسبب مرض ابنتها بعدما سمعت عن نبوته ومعجزاته.

هذا كله مضافاً إلى صريح مرقس من انه كان مختفياً لا يريد أن يعلم به أحد وهو يتنافى منافاة تامة مع قصة العرس وزحمة الحضور الذي صوره يوحنا.

خصوصاً وأن دعوى يوحنا انه بقي في منطقة الجليل أياماً قليلة، تعني انه لم يكن لديه الوقت ليخلو بنفسه اذا قارنا هذه المدة اليسيرة بسير الأحداث وكثرة المعجزات والعظات التي ذكرها الآخرون.

السبب الرابع:

إن ما ذكرناه من أن أصل دعوة السيد المسيح (ع) لا مبرر لها إذا افترضنا ان مسرح الاسطورة هو قانا لبنان، لأن من غير المنطقي أن يدعى ساكنوا كفر ناحوم على ضفاف بحيرة طبرية إلى قانا لبنان مع ما في ذلك من بعد المسافة، لأن عادة الناس أن يدعوا أهل منطقتهم إلى

افراحهم، إلا إذا كان البعيدون من ذوي الشأن ومن علية القوم ولم يكن ذلك قد حصل للسيد المسيح (ع) بحسب الفرض، لأن المفروض انه لم يكن قد ابتدأ بصنع المعجزات بعد ولم تظهر دعوته بنحو تصل إلى منطقة صور.

خصوصاً بملاحظة ان هذه القصة قد حصلت بعد ثلاثة أيام من انطلاقه من أورشليم وابتداء دعوته وحركته، ولم يكن من أصحاب الجاه والمال أيضاً.

ثم ان سياق الكلام يأبى عن أن يكون المسرح في قانا لبنان فقد قال: وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل وكانت أمه هناك فدعي يسوع الخ. . .

فإن كون أمه هناك الظاهر في انها كانت حاضرة في المنطقة ودعوة يسوع المترتبة على وجود أمه بملاحظة الفاء، وأصل دعوته يشير إلى انه وأمه كانا معروفين من أصحاب العرس، وذلك أمر طبيعي إذا افترضنا حصول

ذلك في قانا فلسطين لوقوعها قريبة من مسكنه في كفر ناحوم.

السبب الخامس:

انه مضافاً إلى انه لا مبرر أصلاً للالتفاف عشرات الكيلومترات من الناصرة باتجاه الشمال الغربي حتى ضواحي صور، ثم إلى الجنوب الشرقي ليصل إلى ضفاف بحيرة طبرية التي سكنها، خصوصاً وان دعوته كانت منحصرة حينئذ في بني اسرائيل ولا تتعداهم إلى غيرهم كما صرّح نفسه بذلك.

هذا إذا افترضنا أن العرس قد حصل وهو في طريقه إلى كفر ناحوم، مع انه غير محتمل بحسب سياق الحديث، فان ظاهر الدعوة انه قد استقر وسكن فيها فعلاً.

مضافاً إلى ذلك تعبيره بالانحدار الذي يعني الهبوط من مكان عال إلى أسفل كما صرّحت بذلك معاجم

اللغـة[1]، وفـي نسخـة أخـرى نـزل ـ وهـو مـا عبّـر بـه الآخرون ـ الانحدار هذا ـ إنما كان في طريقه من الناصرة إلى كفر ناحوم، مما يدل دلالة واضحة على ان طريقه كانت من الناصرة إلى قانا الجليل ـ فلسطين ـ إلى كفر ناحوم، لأن الناصرة وقانا الجليل الواقعة بينها وبين كفر ناحوم المطلة على بحيرة طبرية هما أعلى من الأخيرة، وهو ما يصحح التعبير بالانحدار المجمع عليه منهـم، ولـو كـان المـراد قـانـا لبنـان لمـا صـح التعبيـر بالانحدار والنزول كما لا يخفى على العارف بتضاريس المنطقة.

السبب السادس:

انه يوجد حوار بين فيلبس الذي كان مرافقاً للسيد المسيـح (ع) فـي رحلتـه تلـك ونثنـايـل وهـو مـن أهـل

(١) يلاحظ لسان العرب وأقرب الموارد ومجمع البحرين والمصباح المنير وصحاح اللغة مادة حدر وانحدر.

قانا الجليل[1]، يذكر فيه استنكار ابن قانا لامكانية أن يكون النبي من الناصرة، فيقول:

وجد فيلبس نثنايل وقال له وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة، فقال له نثنايل ـ مستنكراً ـ أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح.

ولا بد من الالتفات إلى أن نثنايل هذا كان من ذوي الشأن والمعرفة، وإلا لما استحق أن يذكر اسمه صريحاً في هذا المشهد، وأن يبرز هذا الاهتمام به، خصوصاً أن فيلبس قد استدل له بموسى والأنبياء.

ومهما يكن من أمر فاننا نسجل على هذا النص الأمور التالية:

أولاً: ان ما ذكره فيلبس ـ بحسب النص طبعاً ـ هو مجرد مغالطة لا تستند إلى الواقع فان ما هو موجود في

(١) انجيل يوحنا اصحاح ٢١ عدد ٢.

أسفار موسى بين أيدينا لا يوجد فيه أي ذكر لاسم يسوع ولا لاسم الناصرة. لا من قريب ولا من بعيد إلا أن يعترفوا بأن ما هو موجود بين أيدينا من الأسفار قد حرِّف وزُيِّف.

ثانياً: إن نسبة يسوع له بانه ابن يوسف تتضمن تهمة واضحة للسيدة العذراء (ع) وللمسيح نفسه كما لا يخفى.

ثالثاً: إن استنكار نثنايل وعدم اعتقاده بامكان أن يكون صالح من الناصرة، يكشف عن انه كان على معرفة تامة وخبرة عالية بأهل الناصرة وطباعهم ونمط حياتهم، مما يعني انه كان يعيش بينهم أو في جوارهم، ليتسنّى له معرفتهم والاطّلاع على أحوالهم وشؤونهم بهذا الشكل ليمكنه الحكم عليهم حكماً جازماً سلباً أو ايجاباً.

وهذا ما يجعل احتمال أن يكون المراد قانا الجليل الواقعة قريباً من الناصرة أقرب الى الواقع، إذ من البعيد جداً أن يكون من أهل قانا لبنان البعيدة جداً عن الناصرة ومع ذلك قد اطلع على أهل الناصرة بهذا المستوى،

خصوصاً في ذلك الزمن الذي كان الانتقال فيه يحتاج إلى وقت وجهد أكبر بكثير مما نحن عليه اليوم.

رابعاً: إن تأكيد المسيح (ع) بانه اسرائيلي لا غش فيه أي انه اسرائيلي خالص في نسبه واعتقاده وأفعاله يدل على انه كان من أهل المدن الاسرائيلية، وليس من أهل قانا لبنان الوثنية آنئذٍ لأن الناس كانوا يعيشون ضمن جماعات قبلية وعرقية، فكل عرق وقبيلة كانت تتخذ مدينة أو سكناً جماعياً خاصاً بها كما تقدم.

السبب السابع:

وهو ما يمكن أن يجعل دليل إثبات على وقوع الحادثة في قانا لبنان، وهو وجود بعض الاجران في منطقة الجليل في قانا لبنان وهي تبعد مسافة كبيرة عن بعض المنحوتات والرسوم على صخور منطقة الخشنا من قانا على كتف وادٍ عميق، وقد ابتدأ النصارى يحجون اليها باعتبار انها اجران المعجزة.

وهو في الحقيقة دليل نفي لهذه الواقعة، لما يلي:

أولاً: انه قد ذكر بانه كانت توجد ستة أجران حسب تطهير اليهود، والموجود في المنطقة المدعى وقوعها فيها ثلاثة أجران محيطة بحجر كبير ثقب فيها ثقوب تصل الحجر الكبير بها، مما يدل على انها بقايا معصرة أو ما يشبه ذلك.

ثانياً: قد ذكر ان سعة كل واحد منها مطراً أو مطرين، وفي بعض النسخ مكيالاً أو مكيالين، وبعملية حسابية بسيطة نجدها مغايرة للمدعى، فانها حسب دعواه كانت متقاربة السعة والحجم، وأما الاجران الموجودة فهي متفاوتة الحجم والسعة بشكل كبير فاذا علمنا أن المكيال يساوي أربعين لتراً[1]، فمعنى ذلك ان سعة كل واحد هي ما بين ثمانين إلى مئة وعشرين ليتراً.

وإذا علمنا ان حجم الاسطوانة هو حاصل ضرب مساحة القاعدة بالارتفاع، ومساحة القاعدة هي حاصل ضرب الشعاع بالشعاع بـ ٣,١٤ فإن أحجام الأجران

---

(١) شرح الآباء اليسوعيين للكتاب المقدّس في ذيل هذه الفقرة.

الموجودة في المنطقة لا يمكن أن تنسجم مع ما هو المدعى فإن: الجرن الأصغر فيها عبارة عن اسطوانة شعاع قاعدتها أربعة وثلاثون سنتيمتراً وارتفاعها اثنان وأربعون سنتيمتراً فيكون حجمه مئة واثنين وخمسين ليتراً ونصف الليتر لأن الليتر عبارة عن ألف سنتيمتر مكعب أي فيكون حجمه يساوي حوالي أربعة مكاييل.

وأما الأوسط فهو أيضاً عبارة عن اسطوانة شعاع قاعدتها واحد وخمسون سنتيمتراً وارتفاعها سبعة وثلاثون، فإذا أجرينا نفس العملية الحسابية خرجنا بنتيجة بعيدة جداً عن المدعى لأن سعته ستكون ثلاثمئة ليتراً وليترين وخمس الليتر، أي ان سعته سبعة مكاييل ونصف المكيال. وأما الأكبر فهو اسطوانة أيضاً شعاعها واحد وأربعون سنتيمتراً وارتفاعها سبعة وستون فإذا أجرينا نفس العملية كانت سعته ثلاثمئة وثلاثة وخمسين ليتراً وأكثر من نصف الليتر، أي ان سعته أقل من تسعة

مكاييل بقليل ٨,٨ مكاييل فأين هذا كله مما يدعيه النصارى؟!..

هذا كله بالإضافة إلى ان علماء الآثار يقولون ان تاريخ الأجران الموجودة في قانا لبنان يرجع إلى ما بعد القرن الخامس الميلادي أي إلى أكثر من أربعمئة سنة بعد السيد المسيح، ومعه فكيف تكون هذه الأجران هي أجران المعجزة؟!.

الفات نظر:

ولنا ملاحظة أخيرة هنا، وهي: أن هذه التسمية الشائعة لـ قانا لبنان بـ «قانا الجليل» غير ظاهرة المأخوذ به حيث انها بعيدة عن منطقة الجليل أما قانا فلسطين، فإن إضافتها إلى الجليل أنسب وأظهر، لأنه واقعة في نفس ذلك المحيط، أي في محيط منطقة الجليل بالذات.

وأخيـــــــــراً:

وهكذا يظهر ان ما ذكره يوحنا على انه معجزة للسيد المسيح عليه السلام في قانا لبنان، لم يكن سوى اسطورة أو خرافة جادت بها قريحة صاحب الانجيل الرابع أو غيره، من دون علم السيد المسيح أو اذنه، وان المراد من ذكرها سواء كان كاتبها هو صاحب الانجيل أو غيره ممن زاد في انجيله هو توجيه الإهانة إلى ساحة قدس السيد المسيح ثم اثبات معصيته لله تعالى، وبالتالي يؤدي أعظم خدمة لليهود الذين يصرون على عدم صدقه بكل الوسائل المتاحة لهم.

فإنا لله وإنا اليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

والحمد لله رب العالمين.

في ٢ حزيران ١٩٩٦ م

١٧ محرم الحرام ١٤١٧

حاتم اسماعيل

عناوين البحث